العرب
الجمعة 2021/10/01
السنة 44 العدد 12196

إيران تسابق الزمن لملء فراغ القوّة في الشرق الأوسط

الانسحاب من أفغانستان شجّع طهران على تبني نهج ترامب في مواجهة واشنطن

أثار انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان والتطورات المتسارعة التي أعقبته انتقادات حادة من محللين لشؤون الشرق الأوسط، حيث رأى أغلبهم في ذلك فرصة لإيران لتثبيت أقدامها في المنطقة واستغلال انشغال الولايات المتحدة بالمنافسة مع الصين للضغط على القوى الدولية من بوابة المفاوضات حول برنامجها النووي، مستغلة الوقت لاكتساب المعرفة والقدرة الكافية لصنع سلاح نووي.

طهران تناور لإتمام مشروعها النووي

طهران – ظهر وزير الخارجية الإيراني الجديد حسين أمير عبداللهيان، لأول مرة على المسرح الدولي الأسبوع الماضي. وأذهلت تصريحاته في الأمم المتحدة المراقبين، حيث بدا واثقا من نفسه إلى درجة الغرور.

ويقول مايكل هيرش المحلل في مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، إن كلاً من المصادر الأميركية والدولية تشير إلى الاعتقاد الناشئ للحكومة الإيرانية بأن لها، لأول مرة منذ سنوات، اليد العليا في الشرق الأوسط، وأنها عازمة على جعل إيران ما يسمى بدولة العتبة النووية تحت غطاء استمرار محادثات مع الغرب.

وقالت إدارة بايدن إنها تأمل في العودة إلى الاتفاق النووي مع طهران. ولكن كبار المسؤولين الأميركيين يخشون في السر من أن إيران تتحرك بالفعل إلى "الخطة ب": تأجيل المفاوضات بينما تستعد لامتلاك السلاح النووي.

الضغط الأقصى

تأتي هذه النتيجة الرهيبة بعد انسحاب الرئيس الأميركي جو بايدن على عجل من أفغانستان واستيلاء طالبان على السلطة بعد ذلك، الأمر الذي أوضح لخصوم الولايات المتحدة وحلفائها على حدّ سواء حرص بايدن على الانسحاب من المنطقة للتركيز على التهديد الصيني. يسمي البعض التطور "تأثير أفغانستان"، وقد أضر بمصداقية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بشدة.

دينيس روس

الإيرانيون لم يعودوا خائفين ونحن لا نمتلك الردع الكافي

مايكل هيرش

سياسة بايدن المتخبطة قد تؤسس لسباق تسلح نووي بالمنطقة

قال دينيس روس وهو دبلوماسي أميركي مختص في شؤون الشرق الأوسط "من الواضح أن الإيرانيين لم يعودوا خائفين منا بعد الآن. هذا في حدّ ذاته يعني أننا لا نمتلك حقا مستوى الردع الذي نحتاجه، سواء في القضية النووية أو في المنطقة". ووصف روس وآخرون ذلك بأنه انعكاس مثير للسخرية لحملة الضغط الدولي على إيران التي سادت قبل انسحاب الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب من الاتفاق النووي لسنة 2015.

وقال روس إن إيران "تبنت الآن نوعا من نهج الضغط الأقصى على الولايات المتحدة. إنها تتبنى نهج ترامب تجاهنا، مع توقع أننا سوف نتنازل".

وفي 2018، وبدعم حماسي من رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك بنيامين نتنياهو، انسحب ترامب مما أسماه صفقة "مروعة" (خطة العمل الشاملة المشتركة). ثم مارس ترامب ما وصفه المسؤولون الأميركيون بحملة "الضغط الأقصى"، بما في ذلك سلسلة من العقوبات الجديدة، لإعادة طهران إلى طاولة المفاوضات. وفشل هذا الجهد تماما.

وأصبحت إيران الآن أقرب إلى امتلاك القنبلة النووية مما كانت عليه في أي وقت مضى، ويعتقد بعض الخبراء الآن أن طهران قد تكون على بعد شهر واحد فقط من امتلاك ما يكفي من المواد الانشطارية، أو اليورانيوم المستخدم في صنع الأسلحة، لصنع قنبلة واحدة.

وتوجه مستشار الأمن القومي جيك سوليفان الاثنين إلى المملكة العربية السعودية لمعالجة الحرب المستمرة في اليمن بين وكلاء إيران والسعودية، في إشارة إلى أن واشنطن تعتزم الاستمرار في المشاركة في المنطقة. وقال روس وخبراء آخرون إن المسؤولين السعوديين يولون اهتماما أكبر للإجراءات الأميركية، مثل سحب بايدن صواريخ باتريوت والطائرات المقاتلة من الأراضي السعودية، والتي تشير بالنسبة لهم بشكل أساسي إلى انسحاب أميركي. كما أشارت الرياض منذ فترة طويلة إلى أنه من المرجح أن تبني السعودية قدرتها النووية إذا اقتربت إيران من ذلك.

وهنا يرجح هيرش أن تضع إدارة بايدن الأساس لسباق تسلح نووي في الشرق الأوسط، من خلال إرسال إشارات مختلطة وغير واضحة حول ماهية خطوطها النووية الحمراء، وهو بالضبط ما كانت خطة العمل الشاملة المشتركة مصممة لمنعه.

ويوضح هيرش أن القلق الأكبر هو أن إيران، مثل اليابان إلى حدّ ما، ستمتلك المعرفة الفنية واليورانيوم المخصب لصنع قنبلة بسرعة كبيرة. ومن شأن هذه النتيجة، المعروفة باسم حالة العتبة، أن تغير ميزان القوى في المنطقة بشكل كبير.

وعلى الرغم من تصريحات المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي المنتظمة بأن إيران لا تسعى لامتلاك سلاح نووي، يعتقد العديد من الخبراء أن وضع العتبة هو أقل ما يقبله.

وقال رويل مارك جيريخت، وهو ضابط سابق في وكالة المخابرات المركزية الأميركية وخبير في شؤون إيران "سيكون ذلك جزءا من إرث خامنئي، ومظهرا من مظاهر هيبة الثورة الإسلامية. وليس من المنطقي حقا تخيل بايدن يستخدم القوة العسكرية ضد البرنامج النووي الإيراني بعد أفغانستان. لكن الإسرائيليين قد يفعلون ذلك".

تحالف يتلاشى

أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد نفتالي بينيت في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة الاثنين أن "برنامج إيران النووي وصل إلى لحظة فاصلة، وكذلك تسامحنا... لا تمنع الكلمات أجهزة الطرد المركزي من الدوران".

لكن الإسرائيليين مثل السعوديين والإماراتيين، قلقون بشدة من أنهم لا يتلقون أكثر من مجرد كلمات تطمين من واشنطن. وقال المحلل العسكري بصحيفة "هآرتس" عاموس هرئيل إن "هناك الكثير من القلق بشأن ما حدث في أفغانستان، ومن الواضح تماما للإسرائيليين أن أولويات الولايات المتحدة الآن هي الصين وكوفيد – 19 والمناخ. وليست إيران في واحد من المراكز الثلاثة الأولى".

وفي وقت سابق من هذا الشهر قال رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ووزير الدفاع إيهود باراك إن على إسرائيل أن تأخذ في الحسبان الواقع الاستراتيجي المتمثل في أن إيران قد تكون بالفعل عتبة نووية.

وقال بهنام بن طالب لو محلل الشأن الإيراني في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات ومقرها واشنطن "إن العامل الأكبر الذي يقوي العمود الفقري لإيران هو أن النظام يعتقد أنه لم ينج فقط من الضغط الأقصى وظل على قيد الحياة بعد إدارة ترامب، ولكن مثل هذه العقوبات والضغوط السياسية المعوقة لن تعود في أي وقت قريب".

وقال أمير عبداللهيان والرئيس الإيراني المتشدد إبراهيم رئيسي إن طهران مستعدة للعودة إلى محادثات خطة العمل المشتركة الشاملة في فيينا، والتي قد تُستأنف خلال الشهر الحالي. وكانت تلك إشارة إلى المفاوضات بين إيران من جهة وبريطانيا والصين وفرنسا وألمانيا وروسيا من جهة أخرى. حيث رفضت طهران التفاوض مباشرة مع واشنطن منذ انسحاب ترامب من الاتفاق.

لكن العديد من الدبلوماسيين المرتبطين بالمحادثات قالوا إنهم يعتقدون أن إيران تسعى بشكل أساسي إلى إرجاء المحادثات بينما تقترب من الحصول على ما يكفي من اليورانيوم المخصب لصنع قنبلة.

وقال مسؤول أميركي كبير عندما سئل عما إذا كان لدى واشنطن خطة بديلة إذا فشلت محادثات فيينا "إن 'الخطة ب' التي نشعر بالقلق حيالها هي تلك التي قد تفكر فيها إيران حيث تريد مواصلة برنامجها النووي".

واعتبر مراقبو الشرق الأوسط القدامى أن الأمل الوحيد الآن قد يكون في تبني الولايات المتحدة والدول الغربية قرارا بتوجيه اللوم في مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية والسعي لإحالة تحدي إيران لخطة العمل الشاملة المشتركة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. لكن الإجماع الغربي بدأ يتلاشى، مع غضب فرنسا من واشنطن بشأن دورها في خرق اتفاق نووي مع أستراليا وألمانيا في خضم معركة على القيادة على خليفة المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل.

وتتعزز ثقة إيران الجديدة أيضا من خلال الشعور بأن التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة وانضمت إليه الدول الكبرى الأخرى ذات مرة بدأ يتلاشى. وهذا ينطبق بشكل خاص على الصين، التي أشارت إلى استعدادها للقيام بأعمال تجارية مع طهران مرة أخرى، بعد أن استأنفت مشتريات النفط من إيران. كما استأنفت طهران إرسال الوقود إلى حلفائها في حزب الله في لبنان عبر سوريا التي مزقتها الحرب. وفي الأيام القليلة الماضية فقط، وافقت بكين على طلب طهران الانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون، وهو تحالف أوروبي آسيوي تهيمن عليه الصين وروسيا ويضم أيضا الهند وباكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان.

وقال علي واعظ من مجموعة الأزمات الدولية "الإيرانيون واثقون من أن الوقت في صالحهم، وقد بلغ النفوذ الأميركي ذروته. عندما تستأنف المحادثات، سيأتون وهم يعتقدون أن الغرب لن يكون لديه بديل لقبول مطالبهم بشأن رفع العقوبات".

فرنسا تعلمت الدرس: الكلمات وحدها لا تصنع دولا ذات قوة عالمية

فيصل اليافعي
كاتب ومحلل سياسي

"لقد تخلوا عنا في منتصف الطريق" قالها رئيس البلاد بالفرنسية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 سبتمبر، غاضباً من الطريقة التي عومل بها من قبل حُلفائه، وحانقا من اتخاذ القرارات من دون التشاور معه. لكن الزعيم الناطق بالفرنسية الذي يوبخ حلفاءه، لم يكن إيمانويل ماكرون غاضبًا من صفقة الدفاع الجديدة بين أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة، بل كان رئيس وزراء مالي المؤقت موبخاً فرنسا لانسحابها من منطقة الساحل، ولم يكن الرئيس الفرنسي في نيويورك في ذلك الوقت لسماع التحذير من شوجويل كوكالا مايغا، بل كان في باريس، في حالة غضب شديد بلا شك، وأرسل وزير خارجيته لإلقاء كلمة أمام المنظمة العالمية.

ستة أشهر تفصلنا عن الانتخابات ولا يظهر أن ماكرون يقدّم أفضل ما لديه على الساحة العالمية، ومن الواضح أنه يجيد الحديث، لكن يبدو أن فرنسا صارت قوة عالمية بالاسم فقط، وغير قادرة على تقديم القوة الفعلية والحقيقية التي يريدها العديد من حلفائها.

ومثّل أوكوس ضربة قاسية لفرنسا والتي تعد واحدة من كبار مصدري الأسلحة في العالم، واتفاق أوكوس هو تحالف عسكري جديد أنهى صفقة بمليارات الدولارات تتمثل في شراء أستراليا لغواصات فرنسية الصنع. ولا يدل ذلك على أفضلية الأسلحة الأميركية فقط، ولكنه يخبرنا بصورة واضحة أنه حتى أقرب حلفاء فرنسا على استعداد لإخفاء معلومات مهمة عن القادة الفرنسيين لعدة أشهر.

والآن جمهورية مالي، فبالإضافة إلى توبيخها لفرنسا من على منصة الأمم المتحدة، تتجه، علانية أيضاً، إلى المرتزقة الروس، وعازمة على العثور على جنود لسد ثغرتها الأمنية، حتى المستعمرات الفرنسية السابقة تريد أكثر من مجرد كلمات حنونة.

وربما لا شيء يوضح الفرق بين طموح ماكرون والواقع أكثر من محاولاته لإصلاح الوضع في لبنان، فعندما التقى ماكرون برئيس الوزراء اللبناني الجديد في 24 سبتمبر، استخدم نبرة احتجاجية أقل بشكل ملحوظ من نبرته في العام الماضي بعد جولته في لبنان في أعقاب انفجار ميناء بيروت. ولم يُفلح حديثه وتواصله مع الزعماء اللبنانيين في تسريع تشكيل حكومة جديدة، ومضى عام وهو يحث على تطبيق الإصلاحات "العاجلة" ولكن مجهوده ذهب أدراج الرياح.

ويكاد يكون مضحكاً تذكر كلماته قبل أكثر من عام عندما وقف في بيروت وقال بصوت جهوري "ما طلبته هو.. أن تشكيل هذه الحكومة لن يستغرق أكثر من أسبوعين". وها هو أكثر من عام قد مر قبل الاتفاق النهائي على الحكومة، وذهاب نجيب ميقاتي إلى باريس.

الكلمات لا قيمة لها دون أفعال

الدرس المستفاد من كارثة الغواصات يُظهر لفرنسا أن خطابها حول القوة العالمية هو مجرد خطاب رمزي

والقضية الأساسية في السياسة الخارجية لفرنسا كما يبدو: هي عدم رغبتها في إرسال قواتها، كما هو الحال في منطقة الساحل، أو استخدام القوة ضد حزب الله، وقد وبخ ماكرون أحد المراسلين الصحافيين العام الماضي عندما سأله عن حزب الله، قائلاً إنه سيكون من "العبث" أن "أطلب من فرنسا أن تشن حربًا على أحدى القوى السياسية اللبنانية " مما حول مكانة ماكرون كرئيس لفرنسا إلى مجرد صوت متنمر، يحث الآخرين على التغيير من دون القدرة على فرضه عليهم.

وقد يبدو العراق قصة نجاح نادرة لماكرون بعكس ما سبق ذكره، حيث كان هو الزعيم الغربي الوحيد في قمة بغداد الشهر الماضي، والتي كانت تجمعا كبيرا لقادة الشرق الأوسط في العراق، وبعد أيام قليلة، وقعت شركة الطاقة الفرنسية توتال صفقة ضخمة بقيمة 27 مليار دولار لتطوير النفط والغاز في البلاد.

لكن العلاقات التجارية لا تعني نفوذا سياسيا في جميع الحالات، لاسيما في العراق، الذي لا يزال يسعى إلى إثبات وجوده أمام المد الإيراني، وسيبقى النفوذ الفرنسي في العراق محدودا. وعلى الرغم من قول ماكرون بأن القوات الفرنسية ستبقى في العراق بعد رحيل الولايات المتحدة، فإن التواجد العسكري الفرنسي اليوم يمثل جزءا صغيرا من التواجد الأميركي، وغير مرشح للزيادة. وإذا لم تستطع الولايات المتحدة السيطرة على الميليشيات المدعومة من إيران، فما هي فرصة فرنسا في ذلك المسعى؟ ودون توفر تلك القوة العسكرية الفرنسية، ما الذي يمكن أن يحفز الحكومة العراقية للسماع لما تقوله باريس؟

حتى القصة، التي تم نفيها بشدة، والتي تقول إن ماكرون كان على استعداد لتقديم مقعد فرنسا الدائم في مجلس الأمن الدولي لبروكسل مقابل إنشاء جيش من الاتحاد الأوروبي، بدت وكأنها انعكاس لوضع الرئيس الفرنسي المنكمش على الساحة الدولية. وفي القصة الأخيرة نرى كيف عجزت القوة النووية الوحيدة في الاتحاد الأوروبي عن إقناع أقرب أصدقائها بدعم خططها العسكرية دون المساومة على أثمن ما تملك، وهو حق النقض في مجلس الأمن، ومن الصعب تخيل روسيا أو الولايات المتحدة وهما يتنازلان عن ذلك المقعد.

ويُظهر الدرس المستفاد من كارثة الغواصات لفرنسا أن خطابها حول القوة العالمية هو مجرد خطاب رمزي. وقد اعترف ماكرون بذلك عندما قال، متحدثًا عن التغيير في لبنان، "أنا أضع الشيء الوحيد الذي أملكه على الطاولة: وهو رأسمالي السياسي".

والأصدقاء في الشرق الأوسط وأفريقيا، مثلهم مثل الأصدقاء في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، لديهم أولويات سياسية صعبة ويحتاجون إلى المزيد، وهم على استعداد تام للبحث في أماكن أخرى، سواء في واشنطن أو إلى مجموعة فاغنر الروسية، من أجل العثور عليها.

* سنديكيشن بيورو